# أغراض الشعر العربيّ عند النقّاد القدماء

## ( المصطلحات والتقسيمات والبواعث النفسيّة )

جمال قالم●

**الملخّص:**

يحاول هذا البحث المتواضع أن يثير مسألة طالما أثارت نقاشا بين نقّاد العرب القدماء في مؤلّفاتهم وتحليلاتهم،وهي مسألة " أغراض الشعر" فقد شكّلت محور اهتمام الكثير منهم كقدامة بن جعفر وابن رشيق وحازم القرطاجّنّي وغيرهم،لما تحمل من دلالات وتوحي من مقاصد،ففي دراستهم لها اختلفت وجهات نظرهم، سواء ما تعلّق بالتسمية أم بالعدد،ففي جانب التسمية يصادفنا زخم من المصطلحات،فبالإضافة إلى مصطلح الأغراض،هناك مصطلحات أخرى، منها: المقاصد والفنون والموضوعات والأصناف والأنواع والمعاني وغيرها. أمّا في جانب العدد فلم يتّفق النقّاد على حصرها، فمنهم من يختصرها في غرضين ومنهم من يفرّع عنهما أغراضا أخرى، تجاوزت عند بعضهم العشرة.

وقد ربط بعض النقّاد كحازم القرطاجنّيّ هذه الأغراض بالجوانب النفسيّة لدى الشاعر،فاعتبروها نتاج عواطف وانفعالات الشاعر، فهي تتشكّل وفقا لهذه الانفعالات،كما حاول بعضهم أن يجد صلة بين أغراض الشعر وأوزانه.

**Abstract**

The purposes of Arabic poetry in ancient critics (Terms, divisions, connotations and psychological motives)

This research attempts to raise the question of poetry purposes which has promoted a debate among the ancient Arab critics in their writings and analyzes. It has been the focus of many of them, such as Qodamah ibn Jaafar, Ibn Rashiq , the Qarthageny and others due to the meanings that it carries and for the motives it provides. Their views differed towards the study , whether on the label or the number. On the label side, we have a huge number of terms. In addition to the term of objectives, there are other terms, such as: purposes, types, subjects, groups, sorts, meanings, etc. Regarding the number, the critics did not agree on counting them. Some of them contract it in two purposes, while others had divided different ones which can

● جمال قالم، أستاذ مساعد،

be more than a dozen .

Some critics, such as Hazem Qarthageny, have linked these purposes to the psychological aspects of the poet considering them as a result of the poet's emotions. These purposes are formed according to these emotions, while some of the critics tried to find a link between the purposes of poetry and its metres.

## مقدّمة:

لأغراض الشعر وموضوعاته تأثير كبير على نفسية الشاعر وعلى طبيعة الشعر وعلى متلقّيه، باعتبار أنّ الأغراض مرتبطة أساسا بالهدف المرجو من نظم الشعر ذاته،لذلك كانت محلّ اهتمام بالغ من قِبل الشعراء من جهة ومن طرف النقّاد القدماء من جهة أخرى،فقد عالجها هؤلاء من جوانب عديدة تتّصل بتقسيماتها تارة وتنصرف إلى بواعثها وتأثيراتها النفسيّة تارة أخرى،ففي دراساتهم لها اختلفت تأصيلاتهم وتفريعاتهم،ما خلق زحمة من المصطلحات،وزخما من التقسيمات،الأمر الذي يدفع للتساؤل: كيف عالج النقّاد القدماء موضوع أغراض الشعر؟ وهل اتفقوا على تسمية واحدة لها أم تعددت وتباينت من ناقد إلى آخر؟ ثمّ كيف ربط هؤلاء النقّاد الأغراض بالجوانب النفسيّة عند الشاعر والمتلقيّ؟ وهل هناك علاقة بين أغراض الشعر وأوزانه في نظرهم؟

كلّ هذه الأسئلة وغيرها سأحاول أن أجيب عنها في هذا المقال المتواضع معتمدا على المنهج التاريخيّ مرّة وعلى المقارن مرّة أخرى،وعلى مناهج أخرى قد يستدعيها السياق،ومحلّلا لأقوال النقّاد ومناقشا لها،بعد استخلاصها من مضانّها وإرجاعها لأصولها،لذلك وجب عليّ العودة إلى أمّهات الكتب النقديّة مثل: " نقد الشعر" لقدامة بن جعفر و" العمدة " لابن رشيق و" المنهاج" للقرطاجنيّ وغيرها،والعودة إلى بعض المجاميع الشعريّة كحماسة أبي تمّام،كما استدعى المقام العودة إلى بعض المعاجم سواء تعلّق الأمر بمعاجم اللغة أم بمعاجم المصطلحات، كون البحث في مسألة الأغراض تفرض على الباحث التعريج على المعاني اللغويّة أوّلا ثمّ الخوض في دلالات المصطلح،ليتسنى بعد ذلك عرض آراء النقّاد وتحـــــليلها وبيان مواطن الإبداع والتفرّد لدى هؤلاء واكتشاف ما يمكن منها ومحاولة إجلائها للقارئ ليكتشف ما يزخر به تراثنا من كنوز لا يزال الزمن يفاجئنا بها كلّ حين.

## 1. في مفهوم الغرض:

### 1.1. الغرض في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور:« الغَرَضُ: شدّة النِّزاعِ نحو الشيء والشوْقِ إليه. وغَرِض إلى لِقائِه يَغْرَضُ غَرَضاً، فهو غَرِضٌ: اشتاقَ... والغَرَضُ: هو الهدَفُ الذي يُنْصَبُ فيرمى فيه، والجمع أَغْراضٌ. وفي حديث الدجال: أَنه يدعُو شابّاً مُمْتَلِئاً شَباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رَمْيةَ الغَرَضِ؛الغَرَضُ ههنا: الهدَف،أَراد أَنه يكون بُعْدُ ما بين القِطعتين بقدر رَمْيةِ السهم إِلى الهدف، وقيل: معناه وصف الضربة أَي تصيبه إِصابةَ رميةِ الغرَض. وفي حديث عقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغَرَضَيْنِ وأَنت شيخ كبير. وغَرَضُه كذا أَي حاجَتُه وبُغْيَتُه. وفَهمت غرضك أَي قَصْدَك. واغْتَرَضَ الشيءَ: جعله غَرَضَه»[1]. إذًا يبدو من بعض معاني كلمة "غرض" اللغويّة أنّها تدلّ على الاشتياق إلى الشيء وعلى الهدف والبغية والقصد.

### 2.1. الغرض في الاصطلاح:

الغرض في الاصطلاح لا يبتعد كثيرا عن المعاني اللغوية فهو:« الهدف الذي يسعى إليه الشاعر في قصيدته،أو الفنّ الذي يريد أن يعرضه كالوصف،والغزل،والمدح والعتاب»[2]. لذلك لمعرفة غرض الشاعر نعود إلى غايته ومبتغاه وقصده،كما يكن معرفة قصد الشاعر من شعره،فالأغراض مرتبطة بنفسيّة الشاعر ومقاصده ومراميه،فإذا أعجب بشخصية ما قصد مدحها،وإذا غضب من أحد راح يهجوه وهكذا،وقد جاء في العمدة قول عبد الصمد بن المعذل: « الشعر كله في ثلاث لفظات،وليس كل إنسان يحسن تأليفها: فإذا مدحت قلت أنت، وإذا هجوت قلت لست،وإذا رثيت قلت كنت»[3]. وهي إشارة بارعة من هذا الناقد، حيث تفطّن أنّ المدح هو إرسال الكلام إلى مخاطَب، باستعمال ضمير المخاطَب " أنت"،أمّا في الهجاء فينفي الشاعر عن المهجو كلّ صفات الحسن ومكارم الأخلاق وغيرها من الصفات الحسنة،وذلك من خلال توظيفه النفي بالأداة " لست"،أمّا في غرض الرثاء فهو مدح لمفقود وهـــالك، فلا يمكن أن يكون الخطاب في الحاضر والمســتقبل بـــل يـــكون بما يفيد الماضي باستعمال " كنت".

1. ابن منظور، لسان العرب، مج: 05، ج: 36، تح: عبد الله علي الكبير والآخران، دار المعارف، القاهرة، دت، ص:3242.

2. أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربيّ القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2001، ص: 301.

3. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 01، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ط: 05، بيروت، 1981، ص: 123.

ولم يتّفق النقّاد القدماء على تسميّة واحدة للأغراض، فنراهم يستعملون أكثر من مصطلح دال على الغرض،لذلك تعدّدت تسمياتهم واصطلاحاتهم،منها: الأصناف والأركان والمقاصد والفنون والأقسام والمعاني. وسأشير إلى هذه التسميات في إطار الحديث عن تقسيماتهم لأغراض الشعر.

## 2. تقسيمات النقّاد لأغراض الشعر:

تباينت تقسيمات النقّاد القدماء للأغراض الشعريّة فمنهم من يردّها إلى أصل واحد، من هؤلاء ابن رشيق( 456 ه) الذي يرى أنّ أكثر الشعر يرجع إلى الوصف فيقول:«الشعر إلّا أقلّه راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه»[4]. ويوافقه من المتأخّرين علي بن أبي الفرج البصري( 659 ه) صاحب الحماسة البصريّة،ويفصّل في هذا شرحا وبيانا بقوله:« إنّ الشعر على اختلاف معانيه، وأصوله ومبانيه، ينقسم إلى نعوتٍ وأوصاف: فما وصف به الإنسان من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها سمي حماسةً وبسالةً. وما وصف به من حسب وكرم وطيب محتد سمي مدحاً وتقريظاً وفخراً وما أثني عليه بشيءٍ من ذلك ميتاً يسمى رثاء وتأبينا. وما وصفت به أخلاقه المحمودة من حياء وعفة وإغضاء عن الفحشاء ومسامحة زلات الأخلاء سمي أدباً. وما وصف به النساء من حسن وجمال وغرام بهن سمي غزلاً ونسيباً. وما وصف به من إيقاد النيران ونباح الكلاب سمي قِرىً وضيافة. وما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء. وما وصفت به الأشياء على اختلاف أجناسها وأنواعها سمي نعتاً ووصفاً وملحاً وما ذكر من الإنابة إلى الله ورفض الدنيا سمي زهداً وعظةً»[5]. فالوصف إذا هو أساس كلّ الأغراض،فلا يخلو غرض من وصف.

بينما هناك من النقّاد من يرجع الأغراض إلى أصلين هما: المدح والهجاء؛« فإلى المدح يرجع الرثاء،والافتخار،والتشبيب،وما تعلق بذلك من محمود الوصف: كصفات الطلول والآثار،والتشبهات الحسان،وكذلك تحسين الأخلاق: كالأمثال،والحكم،والمواعظ،والزهد في الدنيا،والقناعة،والهجاء ضد ذلك كله،غير أن العتاب حال بين حالين؛فهو طرف لكل واحد منهما،وكذلك الإغراء ليس بمدح ولا هجاء؛لأنك لا تغرى

4. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 02، ص: 294.

5. علي بن أبي الفرج البصري، الحماسة البصرية، ج: 01، تح: عادل سليمان جمال، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1987، ص: 04.

بإنسان فتقول:إنه حقير ولا ذليل،إلا كان عليك وعلى المغري الدرك،ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه» [6].

ومنهم من يتوسّع،فيعتبرها أربعة أغراض وهي:المدح،والهجاء،والنسيب،والرثاء [7]. من هؤلاء ابن وهب الكاتب(335ه) الذي يسمّيها أصناف وفنون الشعر،ويختصرها في أربعة أصول تتفرّع منها فنون أخرى،فيقول:« وللشعراء فنون من الشعر كثيرة يجمعها في الأصل أصناف أربعة،وهي: المديح،والهجاء،والحكمة،واللهو،ثم يتفرع عن كل صنف من ذلك فنون،فيكون من المديح:المراثي،والافتخار،والشكر،واللطف في المسألة،وغير ذلك مما أشبهه،وقارب معناه معناه؛ ويكون من الهجاء: الذم،والعتب،والاستبطاء،والتأنيب وما أشبه ذلك وجانسه؛ ويكون من الحكمة: الأمثال،والتزهيد،والمواعظ، وما شاكل ذلك،وكان من نوعه؛ويكون من اللهو: الغزل،والطرد،وصفة الخمر والمجون، وما أشبه ذلك وقاربه» [8]. وهو هنا يأتي بغرضين،بالإضافة إلى المدح والهجاء،هما: الحكمة واللهو واعتبرهما أصلين لأغراض فرعية أخرى،تصل إلى أكثر من خمسة عشر غرضا.

وقد تأثّر بهذا الرأي الناقد عبد الكريم النهشليّ (405 ه)،ويطلق عليها الأصناف،حيث يقول:« يجمع أصناف الشعر أربعة: المديح،والهجاء،والحكمة،واللهو،ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون؛ فيكون من المديح المراثي والافتخار والشكر،ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء،ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ،ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور» [9].ويظهر من تقسيمات النهشليّ للأغراض أنّه اعتمد تقسيما ثلاثياً تحت كلّ غرض،فتحت المديح المراثي والافتخار والشكر،وتحت الهجاء الذمّ والعتاب والاستبطاء،وينضوي تحت الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ،وأمّا تحت اللهو فنجد الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور، فإذا حسبنا التفريعات جميعها ألفيناها تصل إلى ستة عشر غرضاً،وهو تقسيم ينمّ عن فكر ودراية بهذه الأغراض.

6. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 01، ص: 121.

7. ينظر: نفسه، ص: 120.

8. ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969، ص: 135.

9. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 01، ص:121.

وأورد ابن رشيق في باب "في أغراض الشعر وصنوفه" أبياتا لأبي العباس الناشئ الأكبر(293هـ)،[10] قال فيها:

إنّما الشعر ما تناسب في النظـ م، وإن كان في الصفات فنونا

فأتى بعضه يشاكل بعضاً قد أقامت له الصدور المتونا

كل معنى أتاك منه على ما تتمنى لو لم يكن أن يكـــونا

فتناهى عن البيـــان إلى أن كـــاد حسناً يبين للناظرينا

فكان الألفاظ فيه وجوه والمعـــــاني ركبن فيه عيونا

فإذا ما مدحت بالشعر حرا رمـــت فيه مذاهب المسهبينا

فجعلت النسيب سهلاً قريباً وجـــعلت المديح صدقا مبينا

وتنكبت ما تهجن في السمـ ع، وإن كان لفـــــظه موزونا

وإذا ما قرضته بهـــــجاء عفـــــت فيه مذاهب المرفثينا

فجعلت التصريح منه دواء وجـعلت التعريض داء دفينا

وإذا ما بكت فيه على الغا دين يومـــاً للبين والظاعنينا

حلت دون الأسى وذللت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا

ثم إن كنت عاتبا شبت في الوعـ ـد وعيدا وبالصـــــعوبة لينا

فتركت الذي عـــــتبت عليه حـــذراً آمنا، عـــزيزاً مهـينا

10. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 02، ص: 113.

والشاعر في أبياته هذه يذكر أغراض الشعر وما يجب أن تنضبط به من شروط في جانب اللفظ والمعنى،وما يتّصل بها من أمور نفسيّة،سواء ما تعلّق بالشاعر نفسه أم بالمتلقّي،وهي أربعة أغراض: المدح والهجاء والغزل والعتاب.

أمّا العالم المعتزليّ علي بن عيسى الرمّانّيّ (384ه) فقد اعتبرها خمسا،فقال:« أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب،والمدح، والهجاء،والفخر،والوصف،ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف»[11]. وهي أربعة قلّما اختلف فيها النقّاد،باعتبارها أصول الأغراض.

وناقش قدامة بن جعفر(337ه) ،هو أيضاً،أغراض الشعر وفصّل فيها،وأفرد بابا في كتابه: نقد الشعر سمّاه " باب المعاني الدال عليها الشعر"، وذكر أنّ الأغراض مرتبطة بالمعاني التي لا نهاية لعددها، إلاّ أنّ الشعراء ألفوا الخوض في بعضها، وهي ستّة: المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والنسيب، فيقول:« ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة ممّا لا نهاية لعدده، ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك، كي يبلغ آخره، رأيت أن أذكر منه صدراً ينبئ عن نفسه،ويكون مثالاً لغيره، وعياراً لما لم أذكره، وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء، وما هم له أكثر دوساً، وعليه أشد دوماً،وهو المديح والهجاء والمراثي والتشبيه والوصف والنسيب»[12].إذا فهو يركّز على أمّهات الأغراض،والتي تعوّد الشعراء على النظم فيها،غير أنّه في ذكره للتشبيه مع الوصف قد جاء بمتقاربين، بمعنى أنّ التشبيه هو وصف على الأرجح.

كما تحدّث أبو هلال العسكريّ(395ه) عن أغراض الشعر الجاهليّ، حيث سمّاها أقسام الشعر فقال:« كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً، وهو الاعتذار... ولا أعرف للعرب شيئاً ينسب إلى التهاني،ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود في جملة المديح»[13]. وفي فهو ينفي وجود غرض التهاني ويعتبره من المدح،وفي موقع آخر يذكر تقسيما آخر،فيوافق قدامة في العدد،ويخالفه في غرض من الأغراض،فيذكر العسكريّ غرض الفخر عوضا عن

11. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 02، ص: 120.

12. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص:91.

13. أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج: 01، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص: 91.

التشبيه،ويظهر ذلك في قوله:« ولمّا كانت أغراض الشعراء كثيرة،ومعانيهم متشعبة جمّة،لا يبلغها الإحصاء كان من الوجه أن نذكرماهو أكثر استعمالا،وأطول مدارسة له،وهو المدح،والهجاء،والوصف،والنسيب،والمراثي والفخر»[14]. وبالرغم أنّه اعتبر المراثي والفخر داخلان في المديح، حيث يرى أنّ« الفخر هو مدحك نفسك بالطهارة،والعفاف،والحلم،والعلم،والحسب،وما يجرى مجرى ذلك. والمرثيّة مديح الميّت،والفرق بينهما وبين المديح أن تقول: كان كذا وكذا، وتقول في المديح: هو كذا وأنت كذا»[15]. إلاّ أنّه ذكرهما كغرضين مستقلين عنه. وبالتالي إذا جمعنا أقواله ألفينا تقسيمه للأغراض يصل إلى سبعة،هي: المدح والهجاء والوصف والنسيب والمراثي والفخر والاعتذار.

وقد قسّم ابن رشيق أغراض الشعر إلى ستّة أغراض، وسمّاها مقاصد القول مرّة والأغراض مرّة أخرى، هي: النسيب والمدح والهجاء والفخر والعتاب والاستعطاف[16]. ونجده في الجزء الثاني من العمدة يفصّل أغراض الشعر تحت باب " أغراض الشعر وصنوفه"،وهي:النسيب،المديح،الفخر،الرثاء،الاقتضاءوالاستنجاز،العتاب،الوعيد والإنذار،الهجاء، والاعتذار، فأوصلها إلى تسعة أغراض[17]. أمّا حازم القرطاجنّيّ ( 684 ه) فيذكر الأغراض الشعريّة وما يجب اعتماده فيها من شروط وهي:المدح،النسيب،الرثاء،الفخر،الاعتذار والمعاتبات والاستعطاف،الهجاء،والتهاني،وهي سبعة أغراض إذا اعتبر القرطاجنّيّ الاعتذار والمعاتبات والاستعطاف غرضاً واحدا [18].

كما نجد الشاعر المعروف أبا تمّام في حماسته يسمّيها أبوابا، ويوصلها إلى أحد عشر غرضاً،وهي: الحماسة،المراثي، الأدب، النسيب،الهجاء الأضياف،المديح،الصفات،السير والنعاس،المُلح،ومذمّة النساء[19]. وهو توسّع يمكن أن يختصر،فغرض مذمّة النساء يمكن

14. أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط: 02، بيروت، 1971، ص: 137.

15. نفسه، ص ن.

16. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 01، ص: 199.

17. ينظر: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 02، ص: 113. 180.

18. ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص: 351. 353.

19. ينظر: أبو علي المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991، ص: 21. 1884.

إدراجه ضمن الهجاء،كما يمكن أن يكون غرض الأضياف ضمن غرض الفخر،بل في شرح آخر للحماسة هناك،بالإضافة إلى الأبواب السابقة، بابان آخران هما: القصر والكبر،وكان يمكن إدراجهما في باب الوصف[20].

### 3. البواعث النفسيّة لأغراض الشعر:

تفطّن الشعراء والنقّاد القدماء إلى علاقة الأغراض الشعريّة بنفسية الشاعر وما تعتريه من انفعالات شتّى، من رغبة ورهبة وحبّ وكره وفرح وحزن وغيرها، وقد اشترط النقّاد على الشعراء معرفة الأغراض والمرامي والمقاصد بتعبير ابن رشيق، ويظهر ذلك في قوله:« فأول ما يحتاج إليه الشاعر بعد الجدّ الذي هو الغاية، وفيه وحده الكفاية حسن التأتّي والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع،ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه،فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا»[21]. وهي أمور تتّصل بنفسيّة الشاعر والمتلقيّ على حدّ سواء.

كما أورد ابن رشيق قول دعبل الخزاعيّ:« من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء،ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق،ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء»[22]. فكما يُلاحَظ فقد قسّم دعبل أغراض الشعر إلى أربعة،وجعل لكلّ غرض منها دافعا نفسيّا،فالرغبة دافع المدح، والهجاء لا يكون إلاّ عند البغض،ولا يتأتّى التشبيب إلاّ بالشوق،وأمّا العتاب فيكون بالاستبطاء، وهو رِبْطٌ، كما يبدو، يعبّر عن فهم صحيح لعمليّة الإبداع وما يصاحبها من انفعالات نفسيّة تكون سببا في تشكّل المقاصد والغايات ومن ثمّ الأغراض.

وقد سأل عبد الملك بن مروان أرطأة بن سهية:« أتقول الشعر اليوم؟ فقال: والله ما أطرب، ولا أغضب، ولا أشرب، ولا أرغب، وإنّما يجيء الشعر عند إحداهن»[23]. فجعل

---

20 . ينظر: الأعلم الشنتمري، شرح ديوان الحماسة، تح:علي المفضل حمودان، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992، ص: 1183 وما بعدها.

21 . ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 01، ص: 199.

22 . نفسه، ص: 122.

23 . نفسه، ص: 120.

الشرب دافع للنظم، الذي هو مرتبط بالنشوة والطرب.

وقد حدّد ابن رشيق أربعة دوافع لنظم الشعر في أغراضه المختلفة وسمّاها قواعد الشعر،فقد نقل قول بعضهم:« قواعد الشعر أربعة:الرغبة،والرهبة،والطرب،والغضب: فمع الرغبة يكون المدح والشكر،ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف،ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع»[24]. ورأى ابن رشيق أنّ الرثاء لا يحتاج إلى دافع حسب بعض النقاد الذين قالوا أنّ:« أصغر الشعر الرثاء؛ لأنّه لا يعمل رغبة ولا رهبة»[25]. مع أنّ دافع الرثاء دافع قويّ وهو الحزن على فَقْد عزيز.

كما استشهد ابن رشيق ببيتين لأبي علي البصير:

مدحت الأمير الفتح أطلب عرفه وهل يستزاد قائل وهو راغب

فأفنى فنون الشـــعر وهي كثيرة وما فـــــنيت آثاره والمناقب

وعلّق عليهما بقوله:« فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها»[26]. فقد نبّه إلى أهمّية الرغبة،فهي،كما يبدو،محور الإبداع ثمّ تأتي بعدها بقيّة الدوافع،التي هي تابعة لها وتحت تأثيرها.

أمّا حازم القرطاجنّيّ فيفرّق بين أمرين وهما جهات الشعر وأغراضه، فجهات الشعر:« هو ما توجه الأقاويل الشعرية لوصفه ومحاكاته مثل: الحبيب، والمنزل، والطيف في طريق النسيب. فمثل هذه الجهات يعتمد وصف ما تعلق بها من الأحوال التي لها علقه بالأغراض الإنسانية،فتكون مسانح لاقتناص المعاني بملاحظة الخواطر ما يتعلق بجهة جهة من ذلك»[27]. أي هي منطلق نظم الشعر،من أمور لها تأثير في نفسية الشاعر،فيريد أن ينقلها إلى المتلقّي،وفي المقابل هناك الأغراض وهي:« الهيئات النفسية التي يُنحى بالمعاني المنتسبة على تلك الجهات نحوها ويُمال بها في صوغها لكون الحقائق الموجودة لتلك المعاني في الأعيان مما يهيئ النفس بتلك الهيئات، ومما تطلبه النفس أو تهرب منه، إذا تهيأت بتلك الهيئات»[28] بمعنى

24. نفسه، ص: ن.

25. نفسه، ص: 132.

26. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 01، ص: 121.

27. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص: 77.

28. نفسه، ص ن.

التأثيرات التي تحدثها الأقاويل الشعريّة في نفس المتلقّي، فتجتهد في طلب تلك الأمور أو النفور منها.

وربط حازم القرطاجنّيّ بين الحالات النفسيّة والقصد للوصول إلى الغرض،يقول:« والارتياح للأمر السار إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أرضى فحرك إلى المدح. والارتماض للأمر الضار إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أغضب فحرك إلى الذم. وتحرك الأمور غير المقصودة أيضا، من جهة ما تناسب النفس وتسرها ومن جهة ما تنافرها وتضرها، إلى نزاع إليها أو نزوع عنها وحمد وذم أيضا. وإذا كان الارتياح لسار مستقبل فهو رجاء. وإذا كان الارتماض لضار مستقبل كانت تلك رهبة.

وإذا كان الارتماض لانقطاع أمل في شيء كان يؤمل، فإن نحي في ذلك منحى التصبر والتجمل سمي تأسيا أو تسليا، وإن نحي به منحى الجزع والاكتراث سمي تأسفا أو تندما. ويسمى استدفاع المخوف المستقبل استلطافا. وإذا استدفع المتكلم ذلك فأسعف به وضمن وصف الحال في ذلك كلاما سمي إعتابا. والتعزير على الأمر المرتمض منه والملامة فيه تسمى معاتبة. فإن كان الارتياح لأمر شأنه أن يسر محضره إلا أنه يكون بعيدا من المتكلم، من جهة زمان ماض أو مستقبل أو مكان أو إمكان، حرك ذلك إلى الاستراحة لذكره والتشوف إليه، فتكون الأقوال في الأشياء التي علقتها بأغراض النفوس على هذا النحو متنوعة إلى فنون كثيرة نحو التشوقيات والإخوانيات وما جرى مجرى ذلك»[29]. فجعل القرطاجنّيّ الارتياح والارتماض، الذي هو القلق والحزن،دافعان أساسان من الدوافع النفسيّة في قول الشعر والخوض في أغراضه.

وقد أفرد القرطاجنّيّ بابا سمّاه: "معلم دال على طرق العلم بما ينقسم إليه الشعر بحسب ما قصد به من الأغراض" أشار في البدء إلى اختلاف الناس في قسمة الشعر،حيث قسمه البعض إلى ستة أقسام: مدح وهجاء ونسيب ورثاء ووصف وتشبيه. وبعضهم إلى خمسة أقسام لأن التشبيه راجع إلى معنى الوصف.

وقال بعضهم: أركان الشعر أربعة: الرغبة والرهبة والطرب والغضب. وقال بعضهم: الشعر كلمة في الحقيقة راجع إلى معنى الرغبة والرهبة. ويرى القرطاجنّيّ أنّ هذه التقسيمات كلّها غير صحيحة لكون كلّ تقسيم منها لا يخلو من أن يكون فيه نقص أو تداخل. فيقول:« فأمّا طريق معرفة القسمة الصحيحة التي للشعر من جهة أغراضه فهو أن الأقاويل الشعرية لما كان

29. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 12.11.

القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أو شر،وكانت الأشياء التي يرى أنها خيرات أو شرور منها ما حصل ومنها ما لم يحصل، وكان حصول ما من شأنه أن يطلب يسمى ظفرا، وفوته في مظنه الحصول يسمى إخفاقا، وكان حصول ما من شأنه أن يهرب عنه يسمى أداة أو رزءا،وكفايته في مظنه الحصول تسمى نجاة، سمي القول في الظفر والنجاة تهنئة، وسمي القول بالإخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسيا، وإن قصد تحسرها تأسفا، وسمي القول في الرزء إن قصد استدعاء الجلد على ذلك تعزية،وإن قصد استدعاء الجزع من ذلك سمي تفجيع. فإن كان المظفور به على يدي قاصد للنفع جوزي على ذلك بالذكر الجميل وسمي ذلك مديحا،وإن كان الضار على يدي قاصد لذلك فأدى ذلك إلى ذكر قبيح سمي ذلك هجاء،وإذا كان الرزء بفقد شيء فندب ذلك الشيء سمي ذلك رثاء»[30]. فالقرطاجنّي هنا يربط بين التخييل،الذي هو ما ينجرّ عن الأقاويل الشعريّة من انفعالات لدى المتلقّي،والأغراض،فيكون الغرض وفقا لما يقصد إيصاله إلى المتلقيّ.

وقسّم القرطاجنّيّ الأغراض إلى أجناس،والأجناس بدورها قسّمها إلى أنواع،ثمّ قسّم الأنواع إلى أنواع أخرى فرعيّة، وفقا لأحوال نفسيّة تنتاب الشاعر، فقول« أغراض الشعر أجناس وأنواع تحتها أنواع. فأمّا الأجناس الأول فالارتياح والاكتراث وما تركب منهما نحو إشراب الارتياح الاكتراث أو إشراب الاكتراث الارتياح، وهي الطرق الشاجية. والأنواع التي تحت هذه الأجناس هي: الاستغراب والاعتبار والرضى والغضب والنزاع والنزوع والخوف والرجاء. والأنواع الأخر التي تحت تلك الأنواع هي: المدح والنسيب والرثاء والتذكرات وأنواع المشاجرات وما جرى مجرى هذه الطرق من المقاصد الشعرية»[31]. فالبواعث النفسيّة عند القرطاجنّيّ تعود إلى باعثين رئيسين هما: الاكتراث والارتياح وإلى ما تركّب منهما،ومن جهة أخرى يرى« أنّ أمهات الطرق الشعرية أربع، وهي التهاني وما معها والتعازي وما معها،والمدائح وما معها،والتهاجي وما معها،وأنّ كل ذلك راجع إلى ما الباعث عليه الارتياح،وإلى ما الباعث عليه الاكتراث وإلى ما الباعث عليه الارتياح والاكتراث معا»[32]. وهو هنا يأتي بمصطلح آخر وهو الطرق الشعريّة بمعنى الأغراض، ويرى أنّها مرتبطة ببواعث ثلاث:الاكتراث والارتياح وما تركّب منهما.

30. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 337.

31. نفسه، ص: 12.

32. نفسه، ص: 341.

### 4. علاقة الأغراض بالأوزان الشعريّة:

عالج القرطاجنيّ في كتابه المنهاج قضيّة علاقة أغراض الشعر بالأوزان، تحت عنوان: "معرف دال على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أوفق الأوزان لها". فبعدما ناقش الأوزان وبنيتها من متحرّكات وسواكن، ومن طول وقصر، وبيان تفاوتها بين الخفّة والثقل والقوّة والضعف ما يوجد لها من رصانة في السمع أو طيش،وما يوجد لها من سباطة أو سهولة،فلكلّ وزن ميزة أو صفات تخصّه، وقد يشترك في بعضها مع غيره من الأوزان(33).

واستنبط القرطاجنّيّ صفاتا لبعض الأوزان،فيرى أنّ« العروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوة.وتجد للبسيط سباطة وطلاوة،وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد،وللخفيف جزالة ورشاقة،وللمتقارب سباطة وسهولة،وللمديد رقّة ولينا مع رشاقة،وللرمل لينا وسهولة»(34).

وفي المقابل ولمّا كانت أغراض الشعر شتّى« وكان منها ما يقصد به الجدّ والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليّا أو استخفافيّا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد»(35). ومن ثمّ راح يوضّح ما يناسب الأوزان من صفات تناسب الأغراض من لين وشدّة وجزالة وطلاوة وغيرها، فمثلا يقول:« ولما في المديد والرمل من اللين كان أليق بالرثاء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر»(36).

33. ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 265. 266.

34. نفسه، ص: 269.

35. نفسه، ص: 266.

36. نفسه، ص: 269.

## خاتمة:

يتّضح ممّا سبق أنّ أغراض الشعر عديدة ومختلفة وفقا لأحوال الشاعر وانفعالاته النفسيّة من جهة، وهي مرتبطة بأهداف وغايات ومقاصد الشاعر من جهة أخرى، لذلك راح النقّاد منذ القدم يبحثون فيها ويعدّدونها، فتباينت تسمياتهم لها، فمن هذه التسميات: الفنون والمقاصد والقواعد والأغراض وغيرها، كما انصبّت بحوثهم حول علاقة الأغراض بالانفعالات والحالات النفسيّة لدى الشاعر، واعتبروا هذه الأخيرة مصدرا ودافعا لها، من هذه الانفعالات: الرغبة والرهبة والغضب والطرب. بل هناك من النقّاد من ربط الأغراض بالأوزان الشعريّة، وبالحالات النفسيّة التي تعتري الشاعر حين ينظم قصيدته، فلكلّ غرض ما يناسبه من وزن، غير أن هذا الربط لا يؤخذ على إطلاقه نظرا لاختلاف طبائع الناس ونفسيّاتهم، فالشعر كما قيل من الشعور والقصيدة من القصد،فلاشكّ أنّهما عجين من المشاعر والانفعالات والمقاصد تصبّ في قالب إيقاعيّ وشكل فنّيّ ملائم.

### قائمة المصادروالمراجع:


1) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ط: 05، بيروت، 1981.

2) ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير والآخران، دار المعارف، القاهرة، د ت.

3) ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969.

4) أبو علي المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تح: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.

5) أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط: 02، بيروت، 1971.

6) ديوان المعاني، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

7) أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربيّ القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2001.

8) الأعلم الشنتمري، شرح ديوان الحماسة، تح:علي المفضل حمودان، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992.

9) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

10) علي بن أبي الفرج البصري، الحماسة البصرية، تح: عادل سليمان جمال، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1987.

11) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.